البحث الرابع

ميثولوجيا مندائية

عبر التاريخ الإنساني كُتبت كثير من الملاحم التاريخية، مازالت شعوب هذه الملاحم تعتز دينيًا بها، وتجسدها في أفلام ومسرحيات وكرنفالات، وتتوارثها الأجيال؛ جيل بعد جيل، دون أن يخفت بريقها أو تُنسى عبر كل هذه القرون من الزمن، وأهم هذه الملاحم وأشهرها ملحمة جلجامش السومرية وملحمة الشاهنامة الفارسية والإلياذة الإغريقية والأوديسا وغيرها الكثير، ملاحم فيها أساطير إن صح التعبير أو حكايات من الصعوبة أن يدركها العقل البشري.

الأديان غير السماوية جسدت لنا فيما مضى من الزمان ملاحم كثيرة وصورت لنا قصصًا من وحي الخيال، ولكنها قصص محبوكة كتبها عباقرة أمثال هوميروس وغيره، ورغم أن هذه الملاحم تذكر لنا تعدد الآلهة وقدراتهم؛ نجد أن الأديان السماوية الموحدة ورغم إيمانها هناك خوارق ومعجزات كما يسميها الروحانيون أو المؤمنون ويسميها الماديون أساطير أو ميثولوجيا.

فالمؤمنون يعتزون بهذه القدرات الخارقة أو قل هذه المعجزات، فالدين اليهودي يجسد لنا أن الله جلت قدرته يكلم موسى (ع)، وأن عصا موسى كائن حي، وأن دعاء موسى لربه كان مستجابًا، فوهبه المن والسلوى وعيون الماء العذب في صحراء سيناء، وقصة عبوره بحر سوف العظيم وغير ذلك من الأمور التي تذكرها لنا التوراة، كذلك الدين المسيحي يذكر لنا في الإنجيل ولادة عيسى (ع) من مريم دون أن تتزوج، وقدراته الخارقة في إحياء الموتى ويبصر العميان ويشفي الأبرص والمجذوم والكسيح... وقصة ولادته ووفاته فيها إعجاز كثير وكبير، والأخوة المسيحيين يعظمون ذلك ويكبرونه بكل فخر واعتزاز، كذلك الحال عند الأخوة المسلمين، فالإسراء والمعراج التي يذكرها القرآن الكريم إعجاز ديني عظيم من معجزات الرسول الكريم محمد (ص)، وغيرها من الأمور.

أما الصابئة المندائيون وهذا موضوع بحثنا ؛ فلديهم الكثير من المعجزات ، فقصة ولادة النبي يحيى (ع) من أبٍّ عمره ٩٩ سنة ، وأم عمرها ٨٨ سنة وعاقر ؛ يعتبر من الخوارق ، وغيرها كثير من الأمور... يحدثنا كتاب الكنزا ربا (الكنز العظيم) في ثلاث بوث (سور) ؛ بوثة عالم الظلام ، وبوثة هبوط المخلص ، وبوثة الخلق والتكوين ؛ عن ملحمة متكاملة يحتاج فهمها وإدراكها إلى كثير من الإيمان والتأمل ، وسنسردها بشيء من الإيجاز...

نحن نعلم جميعًا أن الكتب الدينية ذكرت لنا معجزات كثيرة ، فخلق آدم معجزة من معجزات الخالق ، لأن الرب كل شيء بأمره صار ، وكل شيء يريده الله كن فيكون ، فالخلق والتكوين كما تذكره لنا الكتب الدينية يصدقه الروحانيين وينكره الماديين الذين يؤمنون بنظرية داروين وغيره ، ولكن الأديان السماوية تقص علينا أحسن القصص (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) قرآن كريم...

فبالإضافة إلى خلق آدم وعصا موسى وولادة النبي يحيى (ع) وولادة السيد المسيح (ع) هناك ناقة صالح ، وخروف إسماعيل ، وقصة نبي الله أيوب وغيرها ، وسليمان بن داوود التي كانت له الجن طائعة وله قدرة على فهم أصوات الطيور والحيوانات وقدرة على تسخيرها لخدمته ، فالمطلع على الملاحم التاريخية مثل الإلياذة والأوديسا والشاهنامة وجلجامش يتبادر إلى ذهنه أنها حقًا تجسيد للملاحم التاريخية القديمة التي فيها تعدد الآلهة ، وبشكل عام كل الملاحم مبنية على القدرات الخارقة ، وملحمتنا هذه ميثولوجيا مندائية ، ملحمة روحانية يجسدها الكتاب المقدس الكنزا ربا ، وتحكي للمطلع قدرات الحي العظيم وملائكة الله الصالحين وكيف تمَّت السيطرة على هذا العالم وتخليصه من الظلام ومن المردة (الروهة) لتبدأ بعدها عملية الخلق والتكوين...

بسم الحي العظيم

(إِنَّا جَعَلْنَا الْكَوْنَ مَنازِلَ وَطَبَقَاتٍ ، مُكْتَمِلَاتٍ وَغَيْرَ مُكْتَمِلَاتٍ ، وَأَوْكَلْنَا بِكُلِّ طَبَقَةٍ حُرَّاسًا ، مَلَائِكَةً أَجْنَاسًا فَأَمَّا أَرْضُ النُّورِ ، فَقَدْ ثَبَّتْنَا فِيهَا الْأَثِيرِيِّينَ ،

وَمَلَائِكَةَ النُّور ، وَزَيَّنَّاهَا بِمَصَابِيحَ تَدُور ، وَوَهَبْنَاهَا رِيَاحًا سَارِيَة وَمِيَاهًا جَارِيَة ، وَعَطَّرْنَاهَا بِالْأَرِيج ، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَهِيج ، وَأَمَّا عَالَمُ الظَّلَام ، عَالَمُ الشُّرُور وَالْآثَام... فَأَرْضٌ مُقْفِرَةٌ مَسْعُورَة ، دُفِعَتْ إِلَىٰ أَقْصَىٰ الْجَنُوبِ ، بَعِيدًا عَنْ الْمَعْمُورَةُ ، عَوَالِهُ مِنْ دُخَانٍ وَنَار ، وَنَقْصٍ وَشَنَار ، تَعِجُّ عَجِيجًا بِالْأَشْرَار ، وَبِالْقَتَلَةِ وَالْفُجَّار ، وَالسَّحَرَةِ وَالْمُشَعْوِذِينَ وَالْكُفَّار ، أَرْوَاحٌ زَاهِقَة ، وَنِيرَانٌ حَارِقَة ، وَعَوَاصِفُ خَانِقَة ، تَسُوقُهَا شَيَاطِين حَانِقَة ، وَسُفَهَاء ، وَمَصَّاصُو دِمَاء ، بِوُجُوهٍ مُظْلِمَةٍ سَوْدَاء ، صُمٌّ بُلْهَاء ، يَنْهَضُ بَيْنَهُمْ الْمُشَعْوِذُون ، وَالْمُزَيِّفُون وَالْكَذَّابُونَ ، وَالسُّرَّاقُ وَالْغَاصِبُونَ ، وَالْقَتَلَةَ الْمُجْرِمُونَ ، أَنْوَالًا أَنْوَالا ، قِصَارًا وَطِوَالًا ، وَخَلَائِقَ أَشْكَالًا ، مِنْهُمْ يَطِيرُونَ ، وَمِنْهُمْ يَسِيرُونَ ، وَمِنْهُمْ عَلَىٰ بُطُونِهِمْ يَزْحَفُون)... والحي المزكي.

وتمضي الحكاية لتقول إن هذه الدار يحكمها عفريت جبار يخور ويدور ، فوقف عند حدود الديجور ، ونظر إلى أكوان النور ، وأراد أن يخترق الحد الفاصل بين النور والظلام ، وعندما رأى ملائكة الرحمن ذلك وهم محلقون ، جاءهم الصوت من عالم النور السامي ، أن ألا تخافوا من هذا اللعين ، لأنه لا يقدر أن يعبر الحد الفاصل ، فما هو إلا عفريت سجين ، وأمرهم أن يعودوا إلى دورهم آمنين... كان هذا بدء القلق في العالمين :

علم عظيم الملائكة الأثريين بالأمر فجاء إلى الحد الفاصل بين النور والظلام ، وسبر أغوار الكون ، فرأى عجبًا في عالم الظلام ، واستغرب من الأمر وقال مع نفسه لم هيي قدمايي خلق هذا العالم ، ولم خلق هذه المسوخ ، وما الفائدة منها :

فجاءه الصوت السامي من عالم النور السامي ، الله أدرى وأعلم... لا يستطيع الظلام التقرب من النور ، فبصيص من النور يبدد الظلام كله ، وعندما يتقدم النور يتراجع الظلام وينحسر ثم يتبدد ، والشر لا يقوى على الخير ، والشياطين لا تواجه الملائكة ، خُلق الظلام ليحسوا بالنور وخُلق الشر لتحسوا بالخير ، وخلق الشياطين لتحسوا بالملائكة.

هنا أمر الله الملاك منداهيي أن يسيطر على عالم الظلام ويقضي على المردة والآثام، وأن يجعل منه عالمًا نورانيًا تسكنه الملائكة الأثريين، فنادى ابنه الملاك هيبل زيوا، وقام اثنان من المانات الموقرة واستقبلاه، وعانقاه وقبلاه، فسبح أمامها وسجد، وارتبك وارتعد، قالا لا ترتجف يا هيبل زيوا، قم فاغرس نفسك في ثلاثمائة وستين يردنا... وستلبسك ثلاثمائة وستون رداء من أردية النور، ثم قاموا لأردية النور فألبسوه، وفي ثلاثمائة وستون يردنا صبغوه، وذكروا عليه أسماء خفية لم يحظى مثلها إلا ياور أبوه.

وصار مانا كبير شكلهم، أبي الذي سماني باسمه، ياور وضع يده عليه، وكون لي عالمًا لا مثيل له في الوجود، ليس لسعته حدود، ولا لأنواره سدود، وفيه ثلاثمائة وستون ألف أثري شهود، ثم وهبني ثوبه الخاص الذي اصطبغ فيه، وأعطوني السر الذي يحرس المعظمين وقالوا لي يا ابننا ذا البهاء الأسنى من بهاء الأثريين جميعًا، سترى كونًا عنيدًا، تلاقى فيه وعيدًا وضيقًا شديدًا، إنها أكوان الظلام...

وتستمر القصة ويمتثل الملاك هيبل زيوا وينزل إلى الحد الفاصل بين النور والظلام، ويودعه أبوه ويولج عالم الظلام مع الملائكة مرافقيه، يتنقلون من عالم ظلام إلى آخر، يسيطرون عليها واحد تلو الآخر، وبعد زمن طويل وقتال مرير يقضون على الجن والعفاريت والمردة ويعودون إلى عالم الأنوار منتصرين.

وتستمر الحكاية أن الله جل جلاله أراد أن يكون عالم الظلام الذي تمَّت السيطرة عليه عالم من عوالم النور، تسكنه الملائكة الأثريين الطيبين الصادقين لكن أولاد السلام أبناء الملاك يوشامن طلبوا من أبيهم أن يجهزوا عالمًا يسبحون به هيي وأبيهم يوشامن، فوافق على ألا يقوموا بعمل باطل... نظر الملاك أباثر سادن باب الأنوار إلى العالم الأرضي، فوجده مغطى بالماء الأسود الآسن، ورأى أن العمل يحتاج إلى جهد كبير ووقت كثير، فعلى عجالة

من أمره نادى له ابنًا من المياه الآسنة العكرة سماه بثاهيل، وطلب منه أن يهيء عالمًا، فامتثل بثاهيل لأوامر ربه في علاه...

القصة مذكورة في الفصل الثاني البحث الثالث (آدم وحواء وذريتهما)، والمشكلة هنا عندما تناقش بعقل ومنطق أن الله جل جلاله خلق كل شيء وبأمره كان كل شيء وقدرته (كن فيكون) إذا أراد شيئًا... فكيف يحق للملاك أباثر؟ وينادي له ابنًا من المياه الآسنة وكيف وكيف ولماذا؟، ولأن الملاك أباثر نادى الملاك بثاهيل من المياه الآسنة، جاء بثاهيل ناقص ضوء ونور فنصفه نوراني لأن أباه الملاك أباثر، ونصفه مادي لأنه نودي من المياه الآسنة، وليس من المياه الحية في عالم الأنوار، ولهذا آدم رأس السلالة البشرية جسده مادي ونفسه روحانية من عالم الأنوار، ولهذا حكم الحي العظيم على بني آدم بالموت وتوابعه المرض والوجع والشيخوخة... ولهذا هذا العالم فيه عوز ونقصان وفيه كذب وبهتان وفيه ظلام وأشرار وحساب وعقاب وفيه معاثر وأدران.

إنها حقًا ميثولوجيا طويلة شرحها يحتاج إلى مجلدات وجهد عظيم وفهم أعظم، لحد الآن لم يجرؤ أحد لا من الأولين ولا من المعاصرين ولا من المستشرقين على تفسير الكنزا ربا، ولا لوضع إجابات لمثل هذه الأسئلة المعبرة، وعندما تسأل رجال الدين عن مثل هذه الأمور المحيرة لا يجيبوك...

* * *

(قال ملك النور السامي في قوله فكان كل شيء، قال لي ربي اذهب إلى عالم الظلام المملوء كله بالشر، كله مملوء بالشر بالنار الآكلة، عالم الفتنة المضطرب، عالم الغش والكذب، المزروع بالشوك والعليق، اذهب إليه وسيطر عليه، ابسط الأرض وارفع السماء وعلق فيها الكواكب، هب الشمس ضياء، والقمر بهاء، والنجوم سناء، والماء عذوبة، والنار أنسًا، ولتبدأ بأمري الحياة، كون بأمري الثمارن والأعناب والأشجار، يبتهج بها العالم، وليكن رجل وامرأة، اسماهما آدم وحواء، تسجد لهما ملائكة النار، ومن عصى فمصيره النار، وليكن ثلاثة من ملائكة النور أنسًا لآدم).

دائمًا تستهويني ما تكتبه من مقالات قيمة الأخت رمزية عبد الله فندي، لإيمانها العميق ودقتها وبساطتها وتواضعها، فألف تحية لأختي رمزية أم إيهاب...

في رحاب سفر إنجازات رسول النور هيبل زيوا:

تعود بنا الذكرى من جديد لرحلات الملاك الباسل (هيبل زيوا) ونزوله إلى عوالم الظلام والتي ورد ذكر تفاصيل إحداثيتها ومراحلها وإنجازاتها في الكنزا ربا القسم اليمين، تأخذنا إلى الزمن الكوني والميتافيزيقيا الدينية العميقة التي تعتبر من المبادئ المهمة التي تقوم عليها الأنطولوجيا المندائية منذ القدم؛ ورد لنا في الكنزا ربا بصياغة راقية البلاغة والأدب العرفاني فيها امتزاج ثراء اللغة المندائية مع العمق المعرفي الميتافيزيقي ليعطينا بيانًا عن كنوز معرفية وفكرية وأخلاقية ومنهجية من طراز عالي اللطافة، نستنبطها من سفر الرسول هيبل زيوا.

(مبارك ومسبح أنت الحي أبد الآبدين ، بأمرك كان كل شيء ، وبأمرك خلق كل شيء يا خالق هيبل زيوا ، جبرائيل الرسول ، ومرسله إلى عالم الظلام)... الكنزا ربا.

هيبل زيوا – واهب النور:

اسم من صفات (الهيي ربي قدمايي) الحي العظيم القدير، بعد خلق الملاك الرسول ونودي عليه بالاسم (هيبل زيوا)، ليكون هذا الاسم خاصيته التي تعبر عن ماهيته وقدرته، فصار (هيبل زيوا) أي هبة النور الاسم المميز لرسول الحياة بالإضافة إلى بقية أسمائه التي حصل عليها...

وهو ثاني أهم شخصية نورانية (أثري) تحمل الجذر المعرفي (علم الناصيروثا) للديانة المندائية بعد شخصية الملاك الأثري منداهيي، والذي اسمه يعود أيضًا إلى صفة من صفات الرب الخالق هيي ربي، وتعني (عليم – عارف الحياة)، منح له ليكون له الماهية لشخصية تمثل الجذر المعرفي (المندا) (منذا – ادهيي،

معرفة الحياة)، وتقع على عاتقه نقل تعاليم وأحكام وإرشادات الحي العظيم إلى جميع العوالم، وهو المسؤول عن سلامتها وحراستها وإتقانها.

نستقرء دور الملاك هيبل زيوا، الذي خُلق ونودي عليه لمهمة سيُكلف بعملها بأمر وإرادة الحي العظيم، وواجبه الطاعة وتنفيذ أمر ربه الذي خلقه لتلك المهمة الكونية... (عندما أراد ملك النور السامي دعاني من شكينته المملوءة بالبهاء، تلك الشكينة التي كان هو المبجل العظيم مرشدها على الجهة اليمنى منه)... الكنزا ربا.

لغرض محاربة الظلاميين في عمق عوالمهم بعد أن تعاظمت قوتهم، المهمة تعددت إلى عدة مراحل وفي كل مرة ينقطع فيها عن بلد النور آلاف السنين لحين اكتمالها، وتكللت في الآخر بالنجاح، وتم تقييد وتقويض وتحجيم وكبح باللجام غطرسة جبابرة الظلام، لأجل تلك المهمة الكبيرة وجب تحصين وتسليح وتهيئة الملاك ومرافقيه، فهيئ لهم مياه النهر الحي العظيم لصباغتهم من قبل المانات العظماء (مارا إد ربوثا، ومندادهيي) ثم وهبوه من الأسرار العظيمة والضياء والنور الساطع...

بقوة ملك النور السامي
وبقوتنا نحن مندادهيي
وبالحياة... وبالأثريين
تفوح بالأثري البكر الذي ناديناه
ومن ضياءنا الخاص ألبسناه
وبالنور عطيناه والقوة والثبات وهبناه
لنرسله إلى عالم الظلام يُسيطر عليه ويُعيد النظام إليه

حيث نجاح مهمته سيحقق السلام والهدوء في العالم، وسيفتح المجال لتهيئة عالم أرضي مناسب لاستقبال الحياة والخلق، (وخاطبني ملك النور السامي) قائلاً:

(اذهب إلى عالم الظلمات المتخم بالسيئات ، وذلك العالم الخاص بالأشياء الرديئة والمحاط من كل جانب بالنار الحارقة ، اذهب إلى عالم الفوضى والعربدة بلا استقرار في عالم الظلام الخالي من كل بصيص من النور إلى عالم الاضطهاد والموت بدون الحياة الخالدة)... الكنزا ربا.

بعدها انطلق ومعه ضياؤه العظيم، إلى عمق الأشرار وأرغمهم على الاستسلام والاستيلاء على أسرارهم وتجريدهم من أسلحتهم، ثم جاءت مرحلة تهيئة العالم لخلق البشر ، (إلى أن ينادي جبرائيل هيبل زيوا الرسول ، وإلى أن يؤمر بالمجيء إلى هنا ، يؤمر ويرسل ليكون العالم، سوف يكثف الأرض ، ويمد الرقيع ويهيئ حدودًا للأكوان... مبارك هو الحي الأزلي العظيم ، ومبجل جبرائيل هيبل زيوا الرسول ، الذي بقوته وبمعونة هيبل وشيتل وأنوش... نفذ أمر الحي العظيم... فبسطت الأرض ورفعت السماء ، وعلقت فيها النجوم ، وحملت الأرض أشجارها وحملت الأشجار ثمارها ، وتبعث كل نجمة مدارها ، ومنحت الشمس ضياء والقمر بهاء وخلق آدم وحواء ، فحلت البركة)... وبعدها مهمة المكوث مع آدم وحواء لتعليمهم جميع أحكام الدين والمعرفة والحكمة والفر ائض والطقوس الدينية، وعلمهم النطق والتدوين وأمور الحياة من زراعة وحراثة وبناء البيت وحياكة الكساء.

النتائج المستنبطة :

نستخلص من مآثر وأعمال رسول الحي العظيم (هيبل زيوا) ومرافقيه عدة معاني ، ومن جملتها : واقعية حالة التطور والانبعاثات التي ستؤول له الخطة السماوية ، تثبيت خاصية الواجب والعمل والطاعة في مستويات الحياة ، تقديم دروس بلاغية عن حقيقة الاتحاد وانسجام البنية وسداد الهدف ، تبيان مفهوم العمل على مستوى الشخصيات النورانية الأثرية ، حينما نتأمل ما قام به الرسول هيبل زيوا مبارك اسمه ، نجد خاصية الشمولية المطلقة قد برزت في العمل المكلف به وتعليل ذلك :

أولاً : لكون مردود نتاج هذا العمل يعم على جميع العوالم ، ويحقق النظام والهدوء والطمأنينة لجميع الحيوات.

ثانيًا : لا زال تأثير نتاج هذا الفعل ساري المفعول والفائدة على الكل ومن أجل الكل ، وإلى ما شاءت إرادة الحي العظيم ، فما قام به الملاك الباسل من عمل لم تقف فائدته عند عالم محدد أو من أجل حياة معينة.

ثالثًا : أن مبدأ العمل ونجاحه يعتمد على نوعية الفكرة المتجسدة في ذلك العمل ، وعليه تكون العلاقة ما بين الفكرة والعمل علاقة متساوية بالقوة والنقاء والإرادة حيث أن ما يميز نجاح العمل هو الفكرة بذاتها ، ومن المعروف أن الفكرة السديدة النقية تتطلب كينونة أكثر نقاء وصفاء وفطنة ، وعليه فإن صفات العمل المتقن تكمن في صفات الكينونة حيث المهارة العالية في الإنجاز تضع الفاعل على مستوى عالي من الغبطة والذكاء والقوة غير المحدودة لملكات كينونته ، ومن هذا نستدل على مدى عظمة كينونة الملاك الرسول هيبل زيوا ، مبارك اسمه ، الذي اختير لهذا الواجب والمهمة الكبيرة ، وإدراكنا لا شك يقودنا في ذات اللحظة إلى الكائن المدبر العظيم الذي يقف على كل هذه الانتصارات العظيمة ، سيد الكون المتفرد بقدرته وبخصاله العظيمة ، الذي خلق الملاك هيبل زيوا هو الذي وضع فيه هذه الميزات والقدرات والملكات العظيمة ، فقدرته لا تحد وعظمته لا تقاس ، بأمره كل شيء كان وصار.

أصبح بكل أمانة وحجة نطلق عن سفر أعمال الملاك الأثري هيبل زيوا مبارك اسمه (بسفر المهمة المطلقة) ، التي رحاب شذاه الخالد سيظل يملأ حياتنا وحياة أجيالنا بغزارة عطائه الدروس والمواعظ ، بها نتسلح ونرتقي بكياننا وملكاتنا الروحية والفكرية.

ومن الواضح أن ما تضمنه سفر الملاك هيبل زيوا من أفكار ومعاني روحانية ، لم يكن مصاغ في لغة مكتوبة فحسب ، وإنما كان يرمز له في طقس اجتماعي تعبيري يعمل فيه غذاء خاص يُمزج فيه ثمرة التمر مع ثمرة السمسم يطلق

عليه في العامية (دك الفل)، وهو نوع من أنواع الحلوى، لما تحمله الثمرتين من رمزية دينية لها علاقة وطيدة مع ماهية الأسرار التي تسلح بها الملاك ومساعديه في الرحلة كما أشرنا إليها سلفًا، وكما قال الباحث أحمد راشد صالح في بحثه الموسوم (دك الفل بين الأسطورة والحقيقة)... (إن استخدام تعبير التمر والسمسم يراد به الإشارة إلى اصطحاب الملاك أسرار التكوين معه وليس تمرًا وسمسمًا يأكله كمتاع طريق كما هو دارج).

وما يؤكد ذلك أن تلك التعابير استخدمت أيضًا في ديوان آدم بغرا حيث يتكرر استخدام رموز النخلة والمشة عند شرحه تركيبة المخ وتوزيعه للمعلومات في أنحاء الجسم، والإشارة لتلك الأسرار على أنها تمثل العلم والبصيرة والمستمدة من شجرة الحياة، والزيوا ومسؤليتها في نشر المعلومات لكافة أنحاء الجسم وكيف أن القنديل العظيم (شيشلام ربا) هو المادة التي تعلو النخاع الشوكي والذي ينير طريق الإنسان وكيف أن المانا يتقابل مع ما يأتي من المخ وكيف أن النشمثا تسكن بينهما، (انتهى الاقتباس).

وعليه يؤكل هذا الغذاء (دك الفل) في أجواء عائلية واجتماعية ملئها الفرح والشعور بالغبطة والانتصار، ومعنويًا حلوى دك الفل في هذا اليوم يُلهم بالقوة الروحية التي تزود بها الملاك، وما ينطوي عليه من معنى عميق في قلوب المؤمنين به يكشف عن وعي وإيمان لحدث معين في زمن كوني ولروحانية عميق.

الحقيقة ما بين العلم والدين :

يختتم الصابئي المندائي رسمه بالماء الجاري بتلاوة النص التالي : لفري ايديهون اد شبا وترسر لا تشتلط الى اشما اد هيي واشما اد مندادهيي مدخر الي) حرفيته قدمايي – أيادي السبعة والاثنتا عشرة لا تتسلط على اسم الحي واسم مندادهيي مذكور علي...

وبتعبير آخر : (ليكن طريقي في الحياة الدنيا بعيدًا عن متناول السبعة كواكب والأبراج الاثنى عشر كي لا تؤثر علي، لأن اسم الحي ومندادهيي مذكوران علي).

إذن ما هي الأبراج الاثنا عشر وما هو سر تأثيرها على حياة الإنسان؟ ملايين النجوم التي نشاهدها في السماء الصافية ليلاً تبعد عنا مسافات متباينة إلا أننا نتصورها كما لو أنها قد وزعت فوق سطح مكور مركزه موقع الراصد يسمى بالقبة السماوية (قمبا درقيها) أما دائرة البروج فيرسمها مدار الشمس مع قبة السماء ابتداء من نقطة الاعتدال الربيعي وتؤشر بداية الربيع وتكون هذه النقطة ثابتة على قبة السماء، وتعتبر النقطة الأولى من نقاط برج الحمل، أما الاعتدال الخريفي فهي النقطة الأولى من برج الميزان، وهاتان النقطتان متباعدتان بمدة ستة أشهر، أما الأبراج الاثنا عشر فيبتعد أحدهما بمدة شهر كامل، أي أن الأرض بسبب دورانها حول الشمس تكون خلال كل شهر تحت تأثير أحد الأبراج الاثنى عشر، وبسبب دوران الأرض حول نفسها يتعاقب الليل والنهار ويمر على الراصد برج من الأبراج كل ساعتين، بحيث تكون حصة أول ساعتين من اليوم برج الشهر الذي نحن فيه، أما حصة الساعتين التي تليهما فيكون برج الشهر الذي يليه، وهكذا دواليك، مع العلم أن الساعة الواحدة في التوقيت المندائي مقابل الساعة السادسة صباحًا لأن اليوم المندائي يبدأ عند بزوغ الفجر، أما الكواكب السبعة ويرمز لها بالمندائية بعبارة (شبا شيباهيي) أو (شبا) فقط؛ فهي الشمس، القمر، المريخ، عطارد، المشترى، زحل، الزهرة، وقديمًا كان الإنسان يعتقد بتأثير الكواكب والنجوم على حياتته ومستقبله ودخلت تأثيرات حركة الكواكب في قناعات المجتمعات القديمة، وبات لزامًا على يوم ولادة الإنسان أن يتقرر برجه ونجمه ويمكن قراءة مستقبله إذا عرفت ساعة ولادته، ومصداق ذلك في كتاب سفر البروج (سفر ملواشي) عندئذٍ يتقرر على ضوئها حياة الإنسان واستطاعوا تصنيف البشر بأنواع محددة لا تتغير، لأن معلومات كل برج معروفة ومحددة كما كانت معلومات طبيعة الإنسان في

السابق لا تخرج عن أربعة طبائع؛ وهي الترابية والمائية والنارية والهوائية، ولكل طبيعة مواصفات محددة، أما التفسيرات التي يطرحونها فبعضها لا يختلف عن المعلومات العلمية المعاصرة لأن جميع أجزاء الكون تتماسك وتتبادل بالتأثيرات، والتوازن المتعادل للكون أساسه الأخذ والعطاء، وعلى الإنسان في مظهره البشري أن يكافح مجموعتين من القوى؛ أولهما الصخب الموجود بداخله والناشئ عن امتزاج تلك العناصر الأربعة؛ التراب والماء والهواء والنار، أما الثانية القوى الطبيعية الهدامة الخارجية وطالما كان الإنسان في كفاح مع الفناء فإنه يتأثر بالتقلبات المتعددة للأرض والسماء، ترى ماذا يقول علم الفلك الحديث على ضوء أحدث المعلومات العلمية والفسيولوجية المتوفرة في هذا الصدد، وما علاقتها بالكواكب والأبراج؟.

لقد أكدت التجارب والأبحاث العلمية الدقيقة على احتواء جسم الإنسان على اثنتي عشرة قناة لمسارات الطاقة الحيوية في الجسم، وتنتهي هذه القنوات بأطراف أصابع اليدين والرجلين، وهي عبارة عن مسارات كل من الكبد والمرارة والطحال والمعدة والقلب والأمعاء الدقيقة والكلية والمثانة والغلاف القلبي مسار (سان جاو)، تدخل الطاقة إلى الجسم عن طريق الرئة والأمعاء كمدخل معتاد، وتدخل أيضًا عن طريق الدوامات التي تحيط بالغدد السبعة الصماء، فهي تعتبر بوابات لدخول وخروج الطاقة، وتسمى (بالشاكرا)، وهي شاكرا الجذر (الغدة الإدرينالية) وشاكرا البطن (الغدد الجنسية)، وشاكرا العقدة الشمسية (البنكرياس) وشاكرا القلب (الغدة الزعترية) وشاكرا العين الثالثة (الغدة النخامية) وشاكرا التاج (الغدة الصنوبرية)، وتتأثر الطاقة الحيوية في القنوات تبعًا للحالة النفسية والفسيولوجية التي تخضع لحكم الوعي واللاوعي، فدوامة التاج تبدو كأوراق الوردة وكلوامس تمتد إلى الأعلى وتتحرك بجميع الاتجاهات، وتبدو هذه الدوامة كميسم الوردة الذابلة عندما يكون الإنسان مرهقًا من الناحية العقلية والبدنية، ويكون تأثيرها على صحة الشعر وكثافته على الرأس، وتتحرك الطاقة الحيوية في المسارات الاثنتي عشرة وتتجمع في عقد

مولدة دوامات صغيرة، وهي أيضًا أبواب لدخول وخروج الطاقة ولكل منها تأثير على صحة العنصر الذي يرتبط بها.

وقد وجد أن الإنسان عندما يكون متأملاً أو غارقًا في التفكير يرتفع منسوب الطاقة في القنوات، ووجد أن زيادة حجم الدوامة أو صغرها يجعل العضو المرتبط بها غير سليم، وتبدو عليه علامات المرض، وقد برح الصينيون في علاج الكثير من هذه الحالات باستخدام الوخز بالإبر، عن طريق العقد التي تتجمع فيها الطاقة، فدوران الإبرة الواخزة من اليمين إلى اليسار يزيد من حجم الدوران، وبالعكس من اليسار إلى اليمين يقلل حجم الدوامة، وبهذه الطريقة يمكن السيطرة على حجم الدوامة وجعلها بحجمها الطبيعي، وأيضًا استخدام الأطباء اللمس وتحريك أطراف الأصابع للسيطرة على منسوب الطاقة الحيوية في القنوات. وقد وجد أن هناك علاقة بين الأبراج والطاقة في القنوات، فعندما يكون الإنسان تحت تأثير أحد الأبراج يتولد نشاط في إحدى القنوات وإحدى الدوامات الخاصة بالعقد داخل القنوات، وتكون في أوج نشاطها، وتعليل ذلك أن الأجرام السماوية والكواكب ترسل موجات وإشعاعات كونية ذات ترددات مختلفة تتراكب مع الدوامات وتؤثر عليها مسببة تغيرًا في الجسم وفي نشاطات الغدد، وبالتالي منسوب الطاقة الحيوية في القنوات، ويمتد هذا إلى حياة الإنسان وشخصيته وقد يبدو ذلك مذهلاً عند الطفل ساعة ولادته، ففي اللحظة الأولى بعد ولادته يكون نسخة طبق الأصل من أمه لأنه كان يستمد الطاقة منها عندما كان جنيناً في رحم أمه، ولكن خلال الساعتين الأولتين بعد الولادة يتبرمج الطفل من جديد على استقبال الطاقة وتأثرها بحركة الكواكب والأبراج، ويمكن أن يشبه بجهاز التلفاز عندما يبرمج على قمر صناعي معين، وبالإضافة إلى كل ذلك فإن المسارات والدوامات السبعة الرئيسية تتأثر بمؤثرات عديدة كالحرارة والبرودة واللون والموسيقى، لذلك استخدم الأولون النبرات الموسيقية في علاج بعض الأمراض واستخدموا الألوان لنفس الغرض، كاستخدام اللون الأحمر في زيادة سرعة الشفاء من مرض الحصبة.

والأكثر غرابة أن الأوائل يعتقد أنهم توصلوا إلى أن خيوط الحرير والقطن ودورانها يؤثر في نشاط الدوامات، وخاصة دوامة التاج (الرأس) فلف الهميانه حول الرأس من اليمين إلى اليسار يزيد من نشاط دوامة الرأس، مما يجعل الإنسان متفائلاً فيزيد تأمل الإنسان بالمعتقدات، في حين أن اللف من اليسار إلى اليمين يجعل الإنسان يشعر بالذنب وخيبة الأمل...

الآن لندرس معًا تأثير القمر على الحياة عمومًا وعلى حياة الإنسان خصوصًا، فالأرض كما أكد نيوتن تجذب القمر وتشده إلى مسارها في حين يحافظ القمر على مكان الأرض ويؤثر من جراء ذلك على الحياة وليس أبسط من عملية المد والجزر كمثال على هذا التأثير، وبما أن أكثر من نصف وزن الإنسان ماء، إذن لابد وأن يتأثر بجاذبية القمر ويتكيف معها، فلقد ثبت أنه عند مرور القمر بالأرض يسحب معه الغلاف الجوي ثم لا يلبث أن يطلقه مما يسبب في اختلاف الجو وهطول الأمطار وحدوث الأعاصير، وقد تمَّ التعرف على ذلك بواسطة الأقمار الصناعية الحديثة.

أما الشمس فهي أيضًا تؤثر على الأرض من خلال البؤر والفوهات الموجودة على سطحها والتي تتأجج من حين لآخر مرسلة إشعاعات وتموجات عنيفة فالأبحاث الكيماوية توصلت إلى التفاعلات الكيماوية التي تجري في الماء تتأثر بالنشاطات الكونية وبالتالي على الحياة الإنسانية، فالحياة الإنسانية تتأثر عمومًا بحركة القمر والشمس والكواكب والأجرام والمختلفة فهي ترسل للأرض نشاطات إشعاعية يحمل بعضها في ثناياه قوة وطاقة كبيرتين، ولقد وجدت علاقة وثيقة بين دورة الطمث عند المرأة والقمر إذ يبلغ الطمث أقصى معدلاته حين يكون القمر على وشك أن يصبح هلالاً، وتبدأ معدلاته بالانخفاض لتعود فتزداد حين يصبح القمر محاقًا، وقد أكد العلماء في أبحاثهم أن وقت تكوين البويضة عند المرأة يرتبط أشد الارتباط بالقمر، حتى تمكنوا من أن يحددوا بدقة أوقات حمل المرأة.

وقد توصل العلماء إلى أن البقع الشمسية ونشاطها تؤثر على كمية الزلال في مصل الدم، مما يساعد على حدوث التجلط عند أولئك الذين يمتلكون القابلية مما يؤدي إلى إصابتهم بالذبحة القلبية، وبسبب تأثير المجال المغناطيسي للشمس على المجال الأرضي فيسبب ذلك تأثيرًا على حياة الإنسان كأنه جهاز مسير للمؤثرات الخارجية، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى القول إن التكوين الجيني للطفل يتحكم بمستقبله وله علاقة بموعد ولادته، وأنه بدراسة مواقع الكواكب والأبراج عند ولادة الطفل فإن التنبؤ بمستقبله وتصرفاته الاجتماعية يبدو ممكنًا.

بالإضافة إلى ذلك فإن تغير موقع قطبي الشمس المغناطيسي وتأثر المجال الأرضي بمجال الشمس ودوران الشمس حول محورها كل ستة أيام ونصف من جهة القطبين وكل ٥٥ يومًا عند الاستواء ودوران الأرض حول محورها كل ٢٤ ساعة يعطي صفات متباينة لأيام الأسبوع، وقد وجد أن موقع قطبي الشمس ووجهها المقابل للأرض في يوم الأحد يُعطي إشرقًا متميزًا لهذا اليوم بحيث يجعله أجود من كل أيام الأسبوع ويكون مناسبًا لإجراء الطقوس الدينية كالصباغة وغيرها فهو إذن يوم مبارك ويسمى (هبشابا).

على ضوء كل ذلك نرى سلفًا بأننا محكومون بما تطرحه علينا ساعة ولادتنا وموقع الكواكب السبعة والأبراج الاثنى عشر والاشعاعات الكونية وتأثيراتها السلبية والإيجابية... وإن أفعالنا تخضع لحركة غير عاقلة لا تدرك بالضرر أو الفائدة، وتقودها حركة عمياء في الكون، سواء أكان القمر أم الشمس أم المشترى أو زحل هو الذي يحكم علينا من خلال إشعاعاته وجاذبيته وتأثيره على السلوك والتصرفات الشخصية والإنسانية، وأن كل ذلك ممكن.

إذا اختار الإنسان أن يعيش بعيدًا عن النور متخبطًا في الظلمة تسلب منه الإرادة وتجعله أسيرًا لتلك القوى الشريرة، التي ترسم له حياة العبودية وتجعله بعيدًا عن واقعه الذي يجب أن يعيشه كإنسان خلق من أجل كبح القوى الشريرة.

أما الإنسان الذي يعيش في النور ويمتلك من المعرفة ما تجعله يميز بين الخير والشر ، ويعرف أن الخير هو الحقيقة فيفعله بكل حرية وإرادة ويعرف بأن الكون كله مسخر له فالشمس تشرق كل يوم محكومة بقوانينها ، والسماء تمطر والأرض تنبت والريح تهب والنار تحرق ، وكل شيء يتحرك وفق قوانينه ولا يشذ عنها أو يرفض حكمها ، والإنسان هو الوحيد الذي يستطيع أن يقول لا حينما تفرض عليه نعم ، ويقول نعم حينما تفرض عليه لا ، إنه لا ينصاع لوضعه القدري الذي يفقده طبيعته الفاعلة وسيادته على الكون ، لأنه الوحيد الذي يستطيع أن يحدد نفسه ويكون مستقبلاً ، لأن الحياة الإنسانية هي وليدة الإرادة الإنسانية والعقل الإنساني الواعي.